جامعة المسيلة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

مقياس: جيوبوليتيك العلاقات الدولية

السنة الثالثة علاقات دولية 2021/2020

الدرس الثامن: تطور الجيوبوليتيك على ضوء التحولات الجيوبوليكية التاريخية المهمة:

لقد كان لتكوين **الولايات المتحدة الامريكية بعد ثورتها** سنة 1776، دور مهم في اقتباس المؤهلات الجغرافية ودورها في الصراعات السياسية بين القوى المختلفة، كما انها شكلت مصدر الهام وموضوع دراسة وتحقيق، اذ يمكن اعتبار تطور "اتحاد الولايات الأمريكية" في الفترة اللاحقة الى غاية نهاية القرن 19، سببا لتأسيس أول ثنائية مركزية قامت عليها الجيوبوليتيك التقليدية/الارذوثوكسية وهي ثنائية قوى البر وقوى البحر، ذلك ان مؤسس الجغرافيا السياسية الألماني فريديريك راتزل Friedirich Ratzelالذي يتشارك الى حد ما مع السويدي رودولف كيلينRudolf Kjellen أبوّة علم الجيوبوليتيك، فقد زار في نهاية القرن التاسع عشر الولايات المتحدة التي كانت دولة فتيّة، وأدرك مؤهلاتها الفريدة: **قوى كامنة، وحدود مفتوحة على محيطين، ومساحات قارية**، لكن على الأخص: **فكرها الرائد**، غير أن هذا العقل الجيوبوليتيك الألماني لن يتكرّس إلا لخدمة ألمانيا التي تتمتع بثنائية متوازنة: شعب عريق وأمة شابة توحدت العام 1871، لكن بجغرافيا لا تستوعب طموحها،

وهكذا انبثقت نظرية راتزل، حيث استنتج من خلال دراسته للولايات المتحدة الامريكية اربعة نتائج:

- التوسع الإقليمي للدول يجب ان يكون مصاحبا لتطوّرها الثقافي، مع ضرورة هيمنة الثقافة على الشعوب المستعمَرة.
- مساحتها تزداد مع قوة إيديولوجيتها واقتصادها.
- الحدود كائن عضوي مقترن بديناميكية الدولة وحركيتها التي توسع حدودها اما الجمود والسكون فيقلص مساحتها ويجعلها عرضة للتدخل الخارجي.
- تمارس الدولة التوسع الاقليمي على حساب جاراتها والوحدات السياسية الصغيرة.

وقد نشر "راتزل" هذه الأفكار في كتابه "الجغرافيا السياسية" politische geographie عام 1897، اوضح فيه ان العوامل الجغرافية تتحكم في نمو الدولة وتكوينها، وان حدود الدولة قابلة للزحزحة حتى تبلغ حدودها الطبيعية، وتتعداها ان لم تجد مقاومة من الجيران، وهو ما يسمى بالمجال الحيوي Lebensraum، فبالرغم من ان راتزل كان المؤسس الضمني للجيوبوليتيك اذ اشار الى اهم الافكار التي طرحها هذا العلم فيما بعد الا انه لم يطلق عليه التسمية التي عرف بها، فكان "**كيلين**" اول من سماه بالجيوبوليتيك وأول من استعمل هذا المصطلح للتفرقة بينه وبين الجغرافيا السياسية، وادخل بعض التعديلات على الفكرة القائلة بان الدولة كائن حي، اذ لم يعتبرها كذلك فحسب بل اعتبر ان الدولة شبيهة بالكائن البشري وجسده هو الارض التي تقوم فيها الدولة، وعاصمتها هي القلب، وطرقها هي الرئتين، وانهارها هي الاوردة والشرايين، ومناطق التعدين والانتاج الزراعي هي الاطراف.

عند التطرق الى التطور التاريخي للجيوبوليتيك لا بد وأن تتبادر الى الاذهان الفلسفة الألمانية لان الجيوبوليتيك هو علم ألماني، ولذلك **فتطور تاريخ أمانيا** السياسي والعسكري كان مؤثرا بارزا في المساهمة في اثراء الفكر الجيوبوليتيك وتطويره باعتبار ان ما شهدته المانيا من تحولات كانت محور النقاشات للمفكرين الألمان، اذ

تأسست الإمبراطورية الألمانية في عام 1871 بما يعرف بالوحدة السياسية للشعوب الألمانية، وسرعان ما أصبحت واحدة من القوى الكبرى في القارة الأوروبية. تم حل الامبراطورية في عام 1918 بعد **الحرب العالمية الأولى** وفقدت الكثير من أراضيها ومستعمراتها نتيجة لمعاهدة فرساي[1]... كان عام 1871 تاريخ متأخر نسبيا بالنسبة لأي دولة لتصبح قوة عالمية كبرى، وبحلول ذلك الوقت كانت المانيا قد احتلت بالفعل الاراضي المهمة للدول المنافسة، ولكن، بالنسبة للكثير من المحللين، تطلعات ألمانيا لتصبح قوة عالمية كانت السبب الرئيسي للحرب العالمية الأولى، في أعقاب معاهدة فرساي صنف المفكرون الألمان هذه التطلعات الألمانية قبل الحرب في خانة "الحقوق" بعد الحرب العالمية الثانية... كل الانتكاسات التي عرفتها ألمانيافي هذه الحقبة كانت حافزا مهما للبحث من طرف مفكري الجيوبوليتيك الألمان عن سبل وأطر علمية تمكن من رسم استراتيجيات ناجعة لقادتهم من أجل استرجاع الاراضي وتحقيق التوسع والغزو لتقوية الأمة الجرمانية والجنس الاري، في عام 1933 أصبح أدولف هتلر مستشارا، ووكانت الفرصة المواتية لتطبيق كل افكار الجيوبوليتيك الالمانية وتلقف هتلر والحزب النازي أفكار هاوسوفر وماكندر وغيرهم، اذ في عام 1939 غزت ألمانيا بولندا، والتي أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

... تعتبر **نهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا**، بداية لأزمة علم الجيوبوليتيك، اذ صار ينظر إليه على أنه مثال للاستغلال الشرير والسيء للجغرافيا في السياسة، وبلغ هذا الإشكال مبلغاً كبيراً عندما أصبح يعتبر علم زائف وحامل لأيديولوجيا عدائية وتوسعية وعنصرية[2]؛ فقامت معظم الدول بمنع تدريس الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك في جامعاتها؛ باعتبارهما علمين مشبوهين يسعيان إلى بذر

العداء ويكرسان الأطماع القومية والشوفينية المفرطة، واستمر الحال على هذا المنوال حتى تسعينات القرن العشرين عندما لاحت مؤشرات الانهيار الكبير للاتحاد السوفيتي واعادة تشكيل بنية وهيكل النظام الدولي، لتعود الولادة الجديدة لمقولات الجيوبوليتك ونظرياتها بثوب جديد، ذلك أن انهيار كل المحددات الأيديولوجية والسياسية التي قام على أساسها النظام العالمي ثنائي القطبية بعد الحرب العالمية الثانية، دفع الباحثين في محاولاتهم تلمس شكل النظام الجديد المرتقب إلى أكثر العوامل ثباتاً وديمومةً في صنع الكتل السياسية الكبرى، وأبرزها هي الجغرافيا؛ فعادت إلى الواجهة اطروحات الجيوبوليتك وتم رد الاعتبار للمؤلفات الكلاسيكية وانطلاق موجة كبيرة من الدراسات الحديثة التي تسعى لقراءة التحولات العالمية الكبرى من منظور جيوبوليتيكي وانقضى عصر الممنوع الذي فرض حول هذا العلم.

اذن لقد كانت **نهاية الحرب الباردة** بداية لجيوبوليتيك جديدة، وقد لقي كتاب بول كنيدي "سقوط القوى العظمى" وما تضمنه من افكار جيوبوليتيكية إقبالا كبيرا من القراء ربما لأنه نشر في نهاية الثمانينات عندما بدأت الحرب الباردة بالأفول وبدأ نظام عالمي جديد بالتشكل، وايضا كتاب بريجينسكي "رقعة الشطرنج الكبرى". وقد حدثت تحولات عالمية كبرى بين عامي 1989 و1991 منها انهيار أنظمة الحكم الشيوعية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي وقيام الوحدة الألمانية وتفكك الاتحاد السوفياتي، وسعت الولايات المتحدة في بناء نظام عالمي جديد بقيادتها وتبدى نجاحها في ذلك في حرب الخليج الثانية. ولكن المؤلفين يعترفان بأن السنوات التي مرت منذ عام 1992 لم تكن كافية لمعرفة كيفية توزيع القوى على الساحة العالمية في الوقت القريب، كما أتاحت الأزمة الاقتصادية الكبيرة التي مرت بها الولايات المتحدة أواخر الثمانينات المجال للتنبؤ بقيام قوة عالمية جديدة ناجحة اقتصاديا

وتقنيا مثل اليابان، ولكن ما بعد الحرب الباردة تمخضت عن جيوبولوتيك معقدة المعالم والأبعاد.

ومن الأفكار التي طرحت في أوائل التسعينات للجيوبولوتيك الجديدة هي عودة روسيا كقوة منافسة للولايات المتحدة وتستعيد دور الاتحاد السوفياتي، ومنها أيضا صعود الإسلام كقوة عالمية محتملة فالعالم الإسلامي يغطي مساحات واسعة من العالم في آسيا وأفريقيا ويملك موارد هائلة تؤهله للقيام بدور عالمي مؤثر، على غرار الجيوبوليتيك الروسي "الكسندر دوغين" الذي اعاد صياغة الفكر الجيوبوليتيكي على ضوء العودة الروسية على الساحة الدولية، والملفت ان روسيا ما بعد الاتحاد السوفياتي كانت المجال الحيوي الاكثر خصوبة لاستخدامات علم الجيوبوليتيك نظراً للسعي الروسي للاستعاضة عن السوفيات باتحاد روسي يعيد روسيا القيصرية الكبرى لمكانتها وتاثيرها الاقليميين والدوليين، من خلال ضم و/أو الهيمنة على بعض الجمهوريات ما بعد السوفياتية لتوسيع المجال الروسي الحيوي، في المقابل بذلت الولايات المتحدة كل جهودها لعرقلة مشروع روسيا الكبرى، مع محاولة احتواء هذا المشروع في حال قيامه عبر احاطته بمجموعة من الدول التابعة لاميركا والمرتبطة بنفوذها على قاعدة المصالح المشتركة.

... على العموم هناك العديد من التحولات التاريخية الجيوبوليتيكية المهمة والمؤثرة في تطور الجيوبوليتيك:

- اكتشاف كولومبوس للـ"العالم الجديد" والانتقال تدريجي للمركز الجيوبوليتيكي لأوروبا، من جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط نحو المحيط الأطلسي في شمال غرب البلاد؛ اذ ان التقطعات الجغرافية في العالم تؤدي الى توسع دول العالم من اجل البحث عن ثروات جديدة

- انفتاح اليابان في منتصف القرن التاسع عشر (بعدما انتهجت سياسة العزلة منذ سنة 1600 وهذا في فترة ايدو جيداي 1603-1868 أي قبل فترة الميجي وهذا ما شكل حصار على الروس والبريطانيين والبرتغاليين والفرنسيين والهولنديين ولاسيما تجارتهم وهذا نظرا للاهمية التجارية والبحرية لليابان واستمر الامر الى غاية 1853 عندما كسر اسطول امريكي الحظر ودخل عنوة الى طوكيو وفرض الامريكيون على الحكومة اليابانية التوقيع على اتفاقيات لفتح الموانىء في وجه السفن الامريكية والاوربية، كما ان انفتاح الصين في الثلث الأخير من القرن العشرين، والتي كانت منعزلة سابقا ضمن نماذج مغلقة اجتماعيا ومتخلفة من الناحية التكنولوجية، اذ سمحت بجلب التكنولوجيا الغربية والسماح بخوصصة المؤسسات وانشاء الاستثمارات الخاصة، فاصبحت بذلك في فترة وجيزة من القوى الصناعية والتجارية الكبرى، وهو ما يعكس بروز قوى دولية جديدة غير اوراسية، مما اسهم في تغيير الخارطة الجيوبوليتيكية العالمية، وتعاظم دور شرق اسيا في الاقتصاد العالمي وميزان القوى الدوالي.
- ازدهار التصنيع الملاحي والحربي في القرن التاسع عشر، تزامنا مع الصراعات أكثر فتكا في تلك الحقبة بسبب التقدم في المدفعية (حرب القرم في عام 1856، والحروب ضد النمسا 1865-1866، والحرب الأهلية الأمريكية في أمريكا الشمالية، والحرب الفرنسية البروسية عام 1870-1871) اذ بلغت ذروتها في القرن العشرين مع اندلاع حربين عالميتين، فالتصنيع العسكري كان محفزا للتوسع والاستعمار وهو ما ادى في نهاية الامر الى تغيير الخارطة الجيوبوليكية بظهور دول جديدة وانضمام دول واتساع للحدود...
- في القرن العشرين، تأجج الصراع الأيديولوجي، وأبعاده الثقافية والاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، بين الليبرالية الرأسمالية والشيوعية، وعلى مستوى نماذج الحكم: بين الديمقراطية البرلمانية والأنظمة الاستبدادية والشمولية.بما في ذلك عواقب

هذا الصراع، وجميع الصراعات المحلية والقليمية أو الحروب بالوكالة التي تولدت عن الصراع الرئيسي أو كان يغذيها كألمانيا الشرقية والغربية والكوريتين... وكذلك ظهور الأيديولوجيات الدينية والحركات المتطرفة والأنظمة السياسية "غير المعتدلة" أو المناهضة للهيمنة الامريكية؛

- نضوب الموارد وزيادة السكان أدى الى تضاعف الاحتياجات، مما اشعل نقاط الاحتكاك ومناطق الصدام والنزاعات على المياه العذبة، والمواد الهيدروكربونية والغاز واليورانيوم والمياه الإقليمية، المناطق الاقتصادية الخالصة، والسيطرة على الجزر والمضايق، الطرق البحرية في المناطق القطبية...؛
- بناء السكك الحديدية والطرق الاستراتيجية (كما هو الحال في التبت من الصين) والأنفاق والجسور أو السدود العملاقة (الصين، كوريا، اليابان)؛
- خيارات الطاقة الجديدة ومحاولات التخلص من الموارد الطاقوية التقليدية
- احتفاظ القوى الاستعمارية السابقة بعلاقات متميزة واقتصادية بشكل خاص، مع مستعمراتها السابقة (الكومنولث، الفرانكفونية...)؛
- حفاظ روسيا على منطقة حصرية من النفوذ في 12 من 15 الجمهوريات السوفيتية السابقة مجمعة في رابطة الدول المستقلة، وظهور منطقة تنافس دولي جديدة في الفضاء ما بعد السوفييتي
- تشكل الاقطاب الاستراتيجية العالمية وتزايد دورها (السياسية والاقتصادية والتكنولوجية) التي تتمثل في مجلس الامن الدولي، و مجموعة الثمانية الكبارG8، ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، الوكالة والمنظمة البحرية الدولية،...
- غزو الفضاء وإسناد الاقمار الصناعية، وأجهزة المراقبة العسكرية، والاتصالات.